الملخص

الجغرافيا السياسية تدرس واقع الخريطة السياسية للعالم ، لكن عند دراسة مدينة القدس ، فإن الدراسة تنتقل ما بين واقع المكان و المُتخيل عن المكان ، حيث يوجد رمز مقدس ممثل في مشهد مقدس بمكان مقدس له حدود مقدسة يسكنه شعب مقدس ، و كل دواعي التقديس هي دعاوى مُتخيلة ، و بذالك تنشأ خريطة سياسية متخيلة ، و إن كانت الخريطة السياسية ترسم لتعبر عن واقع علي الأرض ، فإن الخريطة السياسية المتخيلة ترسم في أذهان جماعة بشرية - جماعة مُتخيلة – ثم يسعون لخلق واقع مطابق لها ، و تنشأ عندها جغرافيا سياسية مُتخيلة .

تهتم الدراسة بتناول مدينة القدس كوحدة سياسية ، و دراسة عناصر هذه الوحدة من أراضي و حدود و مجتمع سكاني و تفاعل اقتصادي و ممارسة السيادة ، مع مراعاة المكونات الثقافية المؤثرة في تلك العناصر ، و تتعقب الدراسة تطور هذه العناصر و التفاعل بينها عبر نحو 4000 عام ، مع التركيز علي فترات تاريخية مُختارة و التغاضي عن فترات تاريخية أخرى لمحدودية تأثيرها ، و ذلك في أربعة فصول .

1- الفصل الأول / الجغرافيا السياسية لمدينة القدس بين الواقع و المُتخيّل :

موضع مدينة القدس ليس موضع ثابت بل إنه تحرك عبر التاريخ في فضاء محيط بجبل المعبد ، و كان يتراوح ما بين النمو و الانكماش بحسب مقتضى الحال ، و رغم وعورة المنطقة فإن نمو المدينة كثيراً ما يتجاهل مظاهر السطح و صعوباتها ، لوجود أهمية رمزية للمكان ، و الواقع أن الأهمية الرمزية للمكان هي أهمية مكتسبة ، حيث تعبر عن ثقافة مجموعات بشرية بعينها ، و لتحقيق مصالحها فإنها تعمل علي تكريس مشهد مقدس ، يمثل مزجاً بين الرمز و المكان .

إن تلك الجماعة البشرية ذات الثقافة و الرموز الخاصة تُكوّن جماعة مُتخيلة ، لها إرادتها و طموحها ، و تكون بهذا في مواجهة الجماعات المُتخلية الأخرى ، و تدخل معهم صراعاً ، و اليهود و العرب يمثلون طرفي هذا الصراع حول القدس حالياً ، و يبقي الطرف الثالث " العالم المسيحي " متوارياً في الوقت الراهن ، و يمثل الدين أحد أهم العوامل الثقافية المؤسسة للجماعة المُتخيلة ، و كذلك فإنه يسهم في تشكيل قداسة المكان ، و قد اكتسبت القدس مكانها من تأثير الديانات الإبراهيمية ، و أصبح لها مكان بارز فيما يعرف بجغرافيا القداسة .

2- الفصل الثاني مدينة القدس في التاريخ :

مدينة القدس تطورت من محلة عمرانية صغيرة يمارس سكانها أنشطة بدائية ، من زراعة غير متطورة و رعي إلي قيامها بنشاط تجاري مع التطور الاقتصادي للمنطقة المجاورة و ظهور الفائض الإنتاجي ، و أدي هذا إلي نشأة طبقات متنوعة علي أسس اقتصادية ، وظهور طبقتي رجال الدين و الحكام ، و بدأت الجماعات البشرية تخرج من المعزل العربي متعاقبة إلي منطقة القدس ، وهي التي كونت فيما بعد جماعاتها المُتخيلة المتصارعة ، و قد يتجمع المطرودين و شرازم المهزومين من تلك الجماعات مكونين جماعات جديدة من واقع تعرضهم لظلم مشترك " جماعات العابيرو" ، و عملت هذه الجماعات علي التوسع و تبادلت السيطرة علي مناطق النفوذ و المدن و منها القدس ، و قامت سلسلة من التحالفات بين النظم السياسية الصغيرة لمجابهة النظم السياسية الكبيرة و حدثت تحالفات تبادلية ، و قد توسعت منطقة نفوذ القدس وفق ذلك أحياناً ، و تعرضت للتخريب في مرات أخري .

3- الفصل الثالث مدينة القدس إقليم سياسي:

يتكون الإقليم السياسي من إرادة للسيادة علي أراضي تفصلها حدود عن الأراضي

الأخرى ، وهذه السيادة تكمن في سكان الإقليم ، و اكتساب السيادة عي مدينة القدس بالحلول يعود لسكان فلسطين المستمرون بها بتواصل زمني ، و الصراع حول السيادة من خلال المزاعم الدينية و التاريخية يجابه مدي شرعية المطالبين ، فالجماعات المُتخيلة بدون تواصل عرقي فعلي لا يحق لها المطالبة بأراضي القدس ، كما لا يحق للطالب أن يرث تركة أستاذه المادية بحجة الانتماء الثقافي لنفس الفكر ، كما أن توسيع أراضي القدس عي حساب القرى الفلسطينية المجاورة ، هو خروج علي أراضي القدس التاريخية ، و بذلك أصبحت القدس تتمدد في مختلف الاتجاهات لتلبية حاجة إسرائيل لإحداث تفوق سكاني يهودي ، و لا يوجد مبرر قانوني أو تاريخي لذلك التوسع .

4- الفصل الرابع مدينة القدس تحليل في الجغرافية السياسية الحضرية :

سعت الحركة الصهيونية و وريثتها دولة إسرائيل إلي تهويد القدس ، بإضافة المزيد من المستوطنات اليهودية علي الأراضي الزراعية للقدس و القرى المجاورة لها و علي التلال المحيطة ، بل و داخل البلدة القديمة ، مع رسم حدود للمدينة تتجنب المناطق العربية المجاورة قدر الإمكان ، و لكن هذا التركيز الاستيطاني له أضرار بالغة علي إسرائيل ، فالنمو الطبيعي للعرب المقدسيين عالي ، و دفع ذلك إسرائيل لإهمال الاستيطان في الجليل و مرج بن عامر وهي مناطق استراتيجية ، و تلعب القدس دوراً بارزا في سياسات الأحزاب الإسرائيلية و تعد سياساتها تجاه القدس عامل حاسم في نجاحها أو فشلها .

إن مدينة القدس بسكانها العرب تمثل سوق كبير للمنتجات الإسرائيلية كما يمثل عمالها منخفضي الأجور عمالة رخيصة تساعد المصانع الإسرائيلية علي المنافسة عالمياً ، و بالتالي فإن بقائهم داخل دولة إسرائيل يمثل مكسباً اقتصاديا بخلاف تأثيرهم الديموجرافي و السياسي .